عن ذلك فقال من كذب واحداً فقد كذب الكل لان الاخير جا بما جا به الاول تنبيه
القوم يؤنث باعتبار معناه ولذا يصغر على قويمة ويذكر باعتبار لفظه وتذكيره
اشهر واختير التانيث هنا للتنبيه على ان فعلهم احسن الافعال والى
انهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى اهون شي واضعف بحيث
جعلهم لمبا منثوراً وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب في كل
قصة **اذ** اي حين **قال لهم اخوهم** اي في النسب لانه في الدين **نوح** وذكر
الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم واشار تعالى الى
الحسن ادب نوح عليه السلام مع قومه واستجلابهم برفقه ولينه مع قوله
الا تتقون الله بان تجعلوا بينكم وبين سخطه وقاية بطاعته بالتوحيد
وترك الالتفات الى غيره ثم علل اهليته للامر عليهم بقوله **اني لكم** مع كوني
اخاكم يسرني ما يسركم ويسوءني ما يسوءكم **رسول** اي من عند خالقكم
فلا مندوحة لي عما امرت به **امين** اي مشهور بالامانة بينكم لا غش
عندي كما تعلمون ذلك على طول خبرتكم بي ثم تسبب عن ذلك الرفق
الجزم بالامر فقال **فاتقوا** اي اوجدوا الخوف والحذر والتحرز الذي **الله**
اختص بالجلال والجمال لتحوزوا اصل السعادة فتكونوا من اهل الجنة
واطيعون فيما امركم به من توحيد الله وطاعته ثم نفى عن نفسه التهمة
بعد ان اثبت امانته بقوله **وما اسألكم عليه** اي على هذا الحال الذي
اتيتكم به واشار الى الاعراق في النفي بقوله **من اجر** لتظنوا اني جعلت
الدعاء سبباً لذلك ثم اكد هذا النفي بقوله **ان** اي ما **اجري** اي ثوابي
ودعائي لكم **الا على رب العالمين** اي الذي دبر جميع الخلائق وربّاهم وقرا
نافع وابو عمرو وابن عامر وحفص بفتح اليا في اجري في المواضع الخمسة
في هذه السورة والباقون بالسكون ولما انتفت التهمة تسبب عن
انتفائها اعادة ما قدمه اعلاما بالاهتمام به زيادة في الشفقة
فقال **فاتقوا الله** اي الذي حاز جميع صفات العظمة **واطيعون** ولما
اقام الدليل على نصحه وامانته **قالوا** اي قومه منكرين لاتباعه استنادا
الى الكبر الذي ينشا عنه بطر الحق وغمص الناس اي احتقارهم **انؤمن
لك** اي لاجل قولك هذا وما انت عليه من اوصافك و الحال انه قد
اتبعك الارذلون اي فيكون ايماننا بك سببا لاستوائنا معهم والرذالة
الخسة والذلة وانما استرذلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من
الدنيا وقيل كانوا من اهل الصناعات الخسيسة كالحياكة والحجامة
والصناعة لا تزري بالديانة وهكذا كانت قريش في اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن
عباس هو الفاعة وعن عكرمة الحاكة والاساكفة وعن مقاتل السفلة

لاستوائنا معهم

ولما

ولما كانت ملة الشبهة في غاية الركاكة لان نوحا بعث الى جميع قومه فلا يختلف
الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخستها اجابهم بقوله **قال
وما** اي اي شي **علمي بما كانوا يعملون** قبل ان يتبعون اي ما لي وللبحث
عن سرائرهم وانما قالوا هذا قد طعنوا في استرذالهم في ايمانهم وانهم لم
يؤمنوا عن نظر وبصيرة وانما امنوا هدي وبديهة كما حكى الله عنهم في قوله
الذين هم اراذلنا بادي الراي ثم اكد انه لا يبحث عن بواطنهم بقوله **ان** اي ما
حسابهم اي في الماضي والاتي **الا على ربي** المحسن الي فهو محاسبهم ومجازيهم
واما انا فلست بمحاسب ولا مجاز **لو تشعرون** اي لو كان لكم نوع شعور لعلمتم
ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دائر على امور الدنيا فقط ولا نظر له الى يوم
الحساب فان القناعة غنى الدين والنسب نسب التقوى ولما اوهم قولهم هذا
اسند عاطرد هؤلا الذين امنوا معه وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم
المانع عنه اجابهم بقوله عليه السلام **وما** اي ولست **انا بطارد المؤمنين**
اي الذين صار الايمان لهم وصفا راسخا فلم يرتدوا عنه للطمع في ايمانكم ولا
لغيره من اتباع شهواتكم ثم علل ذلك بقوله **ان انا الا نذير** اي محذر لا وكيل
فاتفتش على البواطن ولا متعنت على الاتباع **مبين** اوضح ما ارسلت به
فلا ادع فيه لبسا وقرا قالون تمدانا في الوصل بخلاف عنه والباقون
بالقصر ولما اجابهم بهذا الجواب وقد ايسوا مما راموه لم يكن منهم الا التهديد
بان **قالوا لئن لم تنته** ثم سموه باسمه جفاء وقلة ادب بقولهم **يا نوح** عما
تقول **لتكونن من المرجومين** قال مقاتل والكلبي من المقتولين بالحجارة وقال
الضحاك من المشتومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح من فلاحهم فلذلك
قال شاكيا الى الله تعالى بما هو اعلم به منه توطئة للدعا عليهم معرضا
عن تهديدهم له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهي عن
المنكر **رب** اي المحسن الي **ان قومي كذبون** اي فيما جئت به فليس الغرض
من هذا اخبار الله تعالى بالتكذيب لعلمه بانه عالم الغيب والشهادة ولكنه
اراد لا ادعوك عليهم لما اذوني وانما ادعوك لاجلك ولاجل دينك ولانهم كذبوني
في وحيك ورسالتك **فافتح** اي احكم **بيني وبينهم فتحا** اي حكما يكون لي فيه
فرج وبه من الضيق مخرج فاهلك المبطلين **ونجني ومن معي** اي في الدين **من المؤمنين**
مما تعذب به الكافرين ثم لما كان في اهلاكهم والنجاة من بديع الصنع ما يجل عن الوصف
اظهره في مظهر العظمة في قوله تعالى **فانجيناه ومن معه** اي الذين اتبعوه في
الدين على ضعفهم وقلتهم **في الفلك** اي السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى
وترى الفلك فيه مواخر فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن اسد وقال تعالى
المشحون اي الموقور المملوء من الناس والطير والحيوان لان سلامة المملوء احدا
اغرب ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظمه باداة البعد فقال تعالى

على البواطن

Copyright King Saud University